

التاريخ في سير أعلامه :

ملتين ..

[الفيتارة الخالدة التي غنت أروع

أناشيد الجلال والحرية والجمال ...]

للأستاذ محمود الحفيف

- ١٢ -

—>>><<<—



رملة الى ايطاليا :

قضى ملتان نحو ستة أعوام في هورتون بين كتبه وأوراقه ،
وهي في الحق عزلة طويلة ما كان ليطبقها لولا عزم معصم ورغبة
قوية في الاستراحة من المرفة والتأهب لمظيمة في دنيا الشعر .

بيد أن القلق أخذ يساوره والسأم يهجس على قلبه في نهاية
العام الخامس من مقامه في القرية أي سنة ١٦٣٧ قبيل نظمه
مرثيته الراحلة لبيداس ، تبين ذلك مما كتبه إلى صاحبه ديوداتي
في سبتمبر من تلك السنة ، وكان ديوداتي قد صار يومئذ طبيباً
تشغله مهنته فكتب عليه ملتان عتبا عنيقا أن لم يف بوعده في زيارته
وكانت لهجة الكتاب غاضبة شاكية تم عن حال من الضجر
والسأم من طول مصاحبة الكتب والإبتعاد عن الدنيا بل هذا
الضطرب الضيق المحدود في القرية .

والحق إن هذه المزمة وإن أجدت على الشاعر كثيرا من

الثقافة والاطلاع لم تخل من بعض الآثار السيئة ، فقد زادت من
ذهابه بنفسه واعتداده برأيه ووثوقه من ارتفاع مستواه عن غيره ،
وإلى ذلك يزمى إلى حد ما صرامته في الجدل فيما كتب بعد
وتمايله على مخالفيه في الرأي وعنفه في المصومة ، وغياب ما عرفه
خلالنه في مجالسته من عذوبة روحه ورقة حاشيته وطلاوة حديثه .
وكانت قد ماتت أمه في أبريل من هذه السنة ، وبموتها ازداد
قلقه وازداد ميله إلى الرحيل عن هورتون ، وأصبح يحس أن
مقامه فيها قد أشرف على النهاية ، فقد كان يجد في ابتسامه أمه
له وحدها عليه وثقتها في مستقبله وفرحها بطموحه عزاء له
وبهجة لروحه في هذه المزمة القاسية ، أما أبوه فقد جاوز السبعين
وهجر ألمانة وقراءاته ، ورغبت نفسه عن الحديث في الأدب
والفن إلا قليلا ، ولهذا لم يمد ابنه يده عنده ما كان يجده من
قبل من بشاشة وإقبال إذ كان يفضي إليه بأماله ويحدثه عما يقع
عليه في مطالعته من رأى سديد أو تعبير بليغ أو نادرة حلوة .

ورد عليه ديوداتي يتمنى له راحة البال وهدوء الحال ، ويسأله
عما هو فيه . وكتب إليه ملتان كتابا لم يك فيه ما كان في سابقه
من الضجر ، وما ذلك إلا لأنه قد عقد العزم على أن يرحل .
وكان يفكر أول الأمر في الإقامة في أحد فنادق لندن ، وفي هذا
الكتاب أجاب ملتان إذ يرد على تساؤل صديقه بتلك العبارة التي
أسلفنا الإشارة إليها ألا وهي تهيوه لعمل يسلكه في الممالدين .

وصح عزمه في ربيع سنة ١٦٣٨ على الرحيل إلى إيطاليا
لتكون رحلته فيها متممة لنفسه وثقافة لمقله ، فإ إن تزال الثقافة
هي حاضرة إلى كل ما يعمل من عمل ، كأنما يضمن بوقته أن يكون
فيه قسط للراحة أو للمتعة الخالصة .

ولم يبخل الموثق الشيخ على ابنه بالمال اللازم له ولتأديم بقبه
فأمده بثلاثة وخمسين من الجنيهات وكانت تساوي يومئذ نحو
ألف مما نتداوله اليوم ، وحمد ملتان لأبيه سخاءه ، وكان يتوجس
خيفة منه حين هم بطلب ذلك المال ، وكان حريا أن يخاف ، فهو
قد بلغ الثلاثين من عمره ولما يزل في رأى أبيه عاطلا لم ينهض
بمعمل مما كان يحبه له ، وكأنما لم يكفه ذلك فجاء يطلب من أبيه
مالا ليستمتع بالرحيل إلى إيطاليا !

والحق إنها يد الموثق الشيخ تضاف إلى سالف أيديه على
ابنه ، ولم ينس الابن أنه تركه لما كان فيه من الشعر ، إذ آنس
منه وهو بعد فلام أنه يحب أن يجعل من نفسه هوميروس آخر

وكان أبوه يجب أن يكون منه كلفن ثان ، ولم ينس أنه قبل ولو على كره انصرفه عن الوظيفة مدنية كانت أو دينية ، وأنه وافق على مقامه في هورتون ليتفرغ للدرس والاطلاع وهو خريج الجامعة ؛ لم ينس الشاعر الشاب شيئاً من هذا ولذلك فهو منتبسط بساحة أبيه ونور بصبرته ، وصرده ذلك فيما يرى الشاعر إلى ما تذوقه أبوه من نعمة الثقافة ، وما فتح عليه عينيه من نور المعرفة .

وكانت إيطاليا يومئذ منتجع خواطر الرجال والشباب من كل أمة على اختلاف ثقافتهم وميولهم ، فكانت تجذبهم إليها اجتذاباً ، وكان لا يحس المرء بكامل ثقافته إلا إذا زار معالمها أو معالم النهضة في أمثلها ، وكانها لكل عقل متممة ، يجد فيها ضالته رجل الفن وعجب البحث في الآثار القديمة والما كلف على دراسة التاريخ والمولع بالعمار ، والفتن بمشاهد الطبيعة والمشتغل بالفلسفة والعلم ، ولا عجب ففي إيطاليا ازدهرت الحضارة الرومانية ، وفيها أشرقت شمس النهضة الأوروبية ومنها انبثقت أشعتها ، وهي مهد أوفيد وفرجيل ، وموطن دانتي وبترايك وتاسو ورفائيل وميكائيل أنجلو وجاليليو ، وكانت في النصف الأول من القرن السابع عشر حين رحل إليها ملتن كسوق انفضت إلا قليلاً ، فلا يزال بها من سحر النهضة وجمال مواكبها بقية .

وكان أمراً طبيعياً أن يتجذب ملتن إلى إيطاليا وهو ابن النهضة بدراسته وروحه وفنه ، وما يزال يتجه بخياله وعقله إلى الربيع الأليزابيثي الراحل وكان موكباً من مواكب النهضة وإن له في مشاهد إيطاليا وفي لقاء شمرائها ورجال الفن والذوق فيها وإن كانوا ظلالات من مضى من الأقداد ، لثمة يطرب لها قلبه ، وتأنس بها روحه .

وكان ملتن أكثر من عدة إلى إيطاليا ، فإلى جانب ما أمده به أبوه من مال ، كان له باللغة الإيطالية علم كاف ، وبتاريخ إيطاليا معرفة وثيقة ، كما أنه حصل على كتب توصية به من بعض ذوى الحثية ، وكان من بين تلك الكتب كتاب من سير هنري وتون وقد قضى سير هنري سنين من عمره في إيطاليا ، وله فيها أصدقاؤه من ذوى المكانة

ونصح سير هنري للثن فيما نصح له به أن يتجنب المناقشات الدينية ، وأن يكون حريصاً في هذا ما وسمه الحرص ؛ وكان سير هنري خبيراً بما عسى أن يجلب على المرء المتاعب في إيطاليا ، كما أنه كان يلس من تحمس ملتن لرأيه ومن شدة كراهته لبابوية

روما وقساوستها ما جملة يكرر له النصيح في إلحاح وشدة وصل ملتن إلى باريس في أبريل أو مايو سنة ١٦٣٨ ، وهناك لقيه السفير الإنجليزي بالترحاب والحفاوة وقدمه إلى جروشيس وكان جروشيس يعيش منذ بضع سنين في كنف ملك فرنس لويس الثالث عشر ، وكان رجلاً مشهوراً المقام في الأدب والفلسفة والسياسة والبحث الديني ، وكان قد حكم عليه في بلاده بالسجن مدى الحياة بسبب آرائه الدينية التي خالف بها مذهب كلفن في القضاء المحتوم ، وفر بمساعي زوجته إلى فرنسا ، حيث طاب له المقام ، وأظهر جروشيس الحفاوة بملتن وأبدله المودة وأثنى عليه ، وذكر له ما سمعه عن نباهة شأنه في الشعر

وفي يوليو بلغ ملتن فلورنسه عن طريق نيس وجنوة ، وأقام الشاعر في فلورنسه شهرين ، وقد أحب ملتن فلورنسه وأهلها حباً قوياً ، وكانت تمتاز يومئذ بمجاعاتها الأدبية ، وكان بها من تلك الجماعات ست شهيرة ، وكانوا يسمونها الأكاديميات ، وشتان بينها وبين الأكاديميات الحديثة ذات القوانين المحددة والأصول المرعية في البحث والدرس ، وإنما كانت هذه منتديات يلتقي فيها ذوو الثقافة فيتناقشون فيما يمرض لهم من المسائل في جلسات ترفع فيها من بينهم السكفة وتزداد الألفة ؛ وقد تنقل ملتن بين هذه الجماعات وكان يقابل فيها جميعاً بالحفاوة والمودة ، وأصنى ملتن وتكلم في تلك المنتديات ، وكان هو ومضيفوه ينتقلون من حديث إلى حديث حينما تشعب طرق الكلام ، فتناولوا الأدب والعلم والفلسفة والرقابة على المطبوعات والسياسة والدين ؛ وتكلم ملتن عن عقيدته الدينية كما تعرض لعقيدتهم ، وأصغوا إليه في ديانة وهدوء ، ووافقوه على كثير مما يقول ، بل إنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك فشكروا إليه وقد تقوا منه ما يمانون من استبداد الكنيسة وطينتها ، الأمر الذي بمقتونه أشد المقت ؛ وقد جاء فيما كتبه ملتن عن تلك الزيارة سنة ١٦٤٤ قوله : « جلست بين المنتقنين من رجالهم ، وقد عدوني سعيداً أن ولدت في إنجلترا بلد الحرية الفلسفية كما تصورها يومئذ ، في حين أنهم لم يترك لهم شيئاً إلا أن يئن الثقفون منهم مما بلاقونه من عنق وشدة ، وإلى ذلك يمزى ما أحاط بأولى الألفية من الإيطاليين من ظلمة ، وإليه يمزى أنه لم يكتب طوال هذه السنين الكثيرة في إيطاليا إلا اللحن والادعاء ! »

وكان مما اعتاده أعضاء هذه الأندية أن يلقى كل واحد منهم ما يبرهن به على ذكائه وسمة اطلاعه ، واستمع ملتن إلى كثير مما

دأبى أن أثير المناقشات الدينية فيما أعشاه من الجماعات ، ولكنى كنت إذا سئلت عن عقيدتى لا أخفى شيئاً مهما يكن ما تعرض له من ألم... لم أخف عن أى سائل يسألنى أى مذهب اعتنق مهما كان هذا السائل ؛ وكنت إذا هاجم أى شخص فى مدينة البابا العتيقة الأصلية لا أتردد فى الدفاع عنها بكل طلاقة »

وتعرف ملتن إلى رجل المانى المجلس هو لستينس ، وكان يقوم على شؤون مكتبة الفاتيكان ، وكانت له مكانة عظيمة فى نفوس الكثيرين من عظماء النواصة ، وقد أراد أن يظهر للشاعر الإنجليزي عرفانه لجليل أهل إنجلترا معه حين كان يطلب العلم فى أكسفورد وقد قدمه هذا الألمانى إلى الكاردينال العظيم فرنسكو باربرينى ، وكان الكاردينال يومئذ هو كل شئ فى روما ، وأقيم للشاعر حفل موسيقى فى قصر باربرينى وهناك استمع ملتن إلى الغنية الشهيرة ليونارة بارونى فأعجب بها إعجاباً شديداً عبر عنه فى قصائد ثلاثة لاتينية قصيرة أهداها إلى الغنية العظيمة .

ولو كان رجل آخر مكان ملتن لأثرت فيه أمثال هذه الحفاوات وبخاصة ما جاء منها من قبل رجال الدين ، ولتخفف من صراحته وحدته فى الكلام عن عقيدته الدينية وركن إليهم شيئاً قليلاً ، ولكنه لم يدع لمثل هذه الأمور سبيلاً إلى التأثير فى رأيه فلم يتحول عنه قيد شعرة الأمر الذى جعل البعض يصدون عنه بعد إقبال ، وجعل الجزويت ينكرون أقواله ومسلكه إنكاراً شديداً .

ولم تك تلك القصائد الثلاث كل ما أوحته إيطاليا إلى ملتن ، فبين قصائده اللاتينية خمس غيرها وجهها الشاعر إلى سيدة إيطالية لم يذكر اسمها سحرته « بسمو حر كآنها وبجانبها الأسود الذى ياق فى النفوس الحب » .

وتوجه ملتن بمد ذلك إلى نابلي ، وهناك زار رجلاً كان لزيارته إياه أجل وقع فى نفسه وذلك هو مانسو العظيم ماركيز فيلا ، وكان مانسو فى الثامنة والسبعين من عمره ، ومرصد عظمته إلى أنه كان راعى الأدب والفن مدة جيلين ، أوى فى أولها الشاعر تاسو وفى ثانيهما ماريانى ؟ وما هو ذا يلقى شاعراً ثالثاً سوف يكون أعظم خطراً فى تاريخ الأدب العالمى من ذينك الشعارين ، وقد رحب به مانسو واستطاع على الرغم من شيخوخته أن يطوف به على الأماكن التى وصفها حين كتب حياة تاسو ، وأحب ملتن هذا الشيخ فامتدحه بقصيدة جميلة ذكر فيها أنه يود لو كان له راع مثل مانسو راعى

لقى أمامه بالإيطالية ، وجاء دوره فتلا فى إحدى هذه الجماعات عن ظهر الغيب بعض قصائده اللاتينية التى نظمها فى أول شبابه ، وبعض قصائد أخرى نادرة وقع عليها أثناء مطالعته ، كما أنه أتى عليهم بعض ما نظم بالإيطالية ، وقد طربوا كثيراً لهذه القصائد الأخيرة وبالغوا فى امتداحها ، وعبروا عن شعورهم نحو صاحبها بمدائح لاتينية ذكر ماتن أنها « مما يرضى به الإيطاليون على من يقطنون فى هذا الجانب من الألب » .

وباغ من فرط سروره بهذه المدائح أنه اعترى أن تكون معظم أشعاره فى المستقبل باللاتينية ليذيع صيته فى القارة ، ولكنه ما لبث أن ترك هذه الفكرة بعد أن عاد إلى وطنه ؛ على أنه لم ينس تلك المدائح التى اختصه بها أهل فلورنسة فنشرها فى مقدمة ما نشر من أشعاره اللاتينية سنة ١٦٤٥ ، ولعله أراد بنشرها أن يطلع الحاقدين عليه من بنى وطنه على ما لقيه من ثناء وحفاوة بين الإيطاليين ، فقد أثنى الإيطاليون فيها على ذكائه وعلمه وحذقه اللغات ، وجماله وفصاحته وما يتصف به من فضائل ، وطول باعه فى الفلك والفلسفة والتاريخ وبالغ أحدهم وهو السنيور فرانسىنى فراح يؤكد لملتن فى قصيدته أنه ما من سر مهمما بلغ من عمقه تحبسه الطبيعة فى السماء أو فى الأرض إلا وهو على علم وثيق به ، وأنه قد بلغ حد اكتمال الفضيلة وأن الحانته الحلوة ترفعه إلى السماء . واتخذ ملتن طريقه إلى روما ففضى فيها شهرين ؛ وهناك طاف بأبنيتها وآثارها القديمة وتعرف إلى كثير من ذوى النباهة والسكانة ، وقوبل بالحفاوة فيها كما قوبل فى فلورنسة ، وإن كانت حماسة أهل روما لم تصل إلى مدى حماسة أهل فلورنسة ، ولم يتبع ملتن فى روما ما نصح له به سيرهنرى ، فأخذ يتكلم فى حماسة وصراحة عن مذهبه البروتستنتى ورأيه فى الإصلاح الدينى ، ولعل ذلك هو السبب فى فتور حماسة أهل روما نحوه ، بل إن بعضهم انصرف عن الحفاوة به حينما نما إليهم ما يقول فى الدين ، وما كان ملتن بالرجل الذى يستطيع أن يخفى فى نفسه رأياً يؤمن بصوابه ، وما كان ليخاف عنناً أو أذى فى سبيل عقيدته ، ومن أبرز خلاله منذ صغره الجهر بما يعتقد لأنه يرى أن السكتمان نوع من المذلة إذا كان الباعث عليه الخوف . وهكذا أخذ فى مدينة البابا نفسه يتكلم فى طلاقة وجراءة لا يهجمه كيف يقع كلامه فى نفوس سامعيه ، ولا يخيفه أقل خوف ما عسى أن يكون من موقف السلطات حياله ؛ أشار إلى ذلك فيما كتب فقال « لم يكن من

ولو اطلع ملتن على النيب ساعتئذ لرأى لنفسه صورة شبيهة بصور جاليليو في ضعفه وقد بصره ومعاناته الآلام من أجل عقيدته .. وسافر ملتن بعد ذلك إلى البندقية ومنها أرسل إلى وطنه ما اشترى من كتب ومخطوطات وكان بينها صندوقان لكتب الموسيقى ، ومن البندقية أجه إلى جنيف ليمود منها إلى موطنه وكان يجب أن تطول رحلته أكثر من هذا ، ولكن ما تراه إليه من أبناء وطنه جملة يؤثر العودة ، عبر عن ذلك في قوله « رأيت أن ما يلحقني الشين أن أرشح طلباً للتمتع في الخارج بينما يمانى بنو وطني الآلام من أجل الحرية في بلادى » .

هذه هي رحلة ملتن إلى إيطاليا ولسنا نجد لما شهد من المدن والآثار صوراً في شعره اللهم إلا ما وصف به روما في الفردوس المتعاد ، وهي صورة ليست بذات أهمية كان يستطيع مثلها لولم يسافر؛ كذلك لم يظهر للمتن أثر لاستمتاع بلهو الحياة ، بل إنه أشهد الله وهو في جنيف في طريقه إلى موطنه أنه لم يأت شيئاً في رحلته تحجل منه الفضيلة .

الخفيف

(يتبع)

الشعراء ؟ ليمنى بدفنه إذ يموت ، ويقم له تماثلاً من المرص يتوج الفار هامتة . وقد أشار ملتن في هذه القصيدة إلى ما يترجم في دنيا الشعر كما أتت على موطنه إنجلترا وعلى مكاتها في الشعر والأدب ؛ وأهدى إليه مانسو كأسين منقوشتين وعبارة جاء فيها « لو أن دينك كان مثل عنك وهيكلك ورشافتك ووجهك ومزاجك ما كنت بريتانياً فقط بل كان مقامك بين اللانكة » .

واعتذر إليه مانسو لأنه لا يستطيع بسبب عقيدته الدينية أن يظهر له من الحفاوة به ما يستحق مخافة الرعباء في المدينة ، وعاد ملتن إلى روما فلبث فيها شهرين آخرين ثم ذهب مرة ثانية إلى فلورنسة ، وفي هذه المرة استطاع أن يزور العالم العظيم جاليليو وكان تزيل السجن في المرة الأولى ؛ بسبب آرائه في الفلك ومخالفته بها رأى الكنيسة ، وزاره ملتن في بيته على مقربة فلورنسة بعد أن حصل على إذن من السلطات ، وكم تأثر الشاعر لرأى هذا العالم الشيخ قد كف بصره وأحيط بالرقابة الشديدة وبدا محطم الهيكل شديد الضعف ، على أنه كان لا يزال محتفظاً بقاءه العقلية ،

والجهات المختلفة التي اشتغل بها والمدة التي قضاه في كل منها والأعمال الهامة التي اشترك في تنفيذها .

(٢) أن تقدم طلبات موطن الحكومة عن طريق المصالح التي يعملون فيها وأن يبين فيها الدرجة والمهية وتاريخهما . وإذا كانت اللوائح المالية المقررة لا تبيح منح الرشح الدرجة والمهية للمتن عنهما فإن هذا الإعلان لا يكسبه الحق فيهما .

وترسل الطلبات برسم عميد كلية الهندسة في ميغادلا بتجاوز آخر يونية سنة ١٩٤٦ . ٥٢٧٩

(٦٠ - ٧٥) لكرسى تصميم الآلات الكهربائية .

١ - أستاذ ج من الدرجة الثانية (٦٠ - ٧٥) لكرسى المواصلات السلكية واللاسلكية .

ويشترط في الطالب أن يكون ١ - حائزاً للدرجة دكتوراه من جامعة معترف بها .

ب - مارس التدريس الجامعي .

ج - قد مضى ما لا يقل من ١٥ سنة على حصوله على درجة البكالوريوس .

د - له مؤلفات وأبحاث علمية مبتكرة وخبرة علمية ممتازة .

ه - ملأ باللغة الإنجليزية .

ويجب (١) أن يرفق الرشح بطلبه بياناً عن تاريخ حياته العلمية

٥١٠٠٠ : فاروق الأول

الاسكندرية

اعلان

تمنن جامعة فاروق الأول عن الموظفين الحالية بكلية الهندسة المينة بمد :

عدد

١ - أستاذ من الدرجة الأولى (٧٥ -

٩٠) لكرسى التصميم المهارى .

١ - أستاذ من الدرجة الأولى (٧٥ -

٩٠) لكرسى توليد وتوزيع القوة الكهربائية .

١ - أستاذ من الدرجة الأولى (٧٥ -

٩٠) لكرسى المنشآت المدنية والكبرى .

١ - أستاذ ج من الدرجة الثانية